Quarterly Journal of Contemporary Literature Studies
Islamic Azad University in Jiroft
https://sanad.iau.ir/journal/cls/

Volume 15, Issue 60
Febrary 2024
pp. 1-17

10.30495/cls.2023.1964430.1372

Research Article

The Impact of Immigration on the Poetry of the Diaspora and Palestinian Poetry (A Comparative Study)

Habib Keshavarz[1*], Mehdi Torkshvand[2]

Abstract

The poets of the diaspora and the poets of the homeless Palestine, both of them live outside their countries, and in addition to their feeling of alienation, they have a longing for their homeland. But the motives and reasons behind the migration of these poets differ; The poets of the diaspora migrated to the countries of the North and South America of their own free will and in order to live a better life, and they may return - whenever they want - to their homelands. As for the poets of Palestine, they did not leave their country voluntarily. Rather, it was the Zionist occupiers who expelled them, and they did not return to their homeland. In this article, we try, using an analytic-descriptive approach, to study the effects of migration on the poetry of Palestine and the poetry of the diaspora, and to show the differences between these effects. The results obtained from this research work show that the different motives and causes of emigration have had a direct impact on the poetry of the poets of Palestine and the poets of the diaspora. The poets of the diaspora yearn for the homeland, but they do not return to it, begging for flimsy pretexts, and aiming arrows of criticism at the masses, while the poets of Palestine love their country and call the masses to struggle. In addition, the emotions of Palestinian poets and their feelings of longing for their homeland are truer.

Keywords: Migration, The Diaspora, Arabic Poetry, Palestine

How to Cite: Keshavarz H, Torkshvand M., The Impact of Immigration on the Poetry of the Diaspora and Palestinian Poetry (A Comparative Study), Quarterly Journal of Contemporary Literature Studies, 2024;15(60):1-17.

1. Assistant Professor at Semnan University, Semnan, Iran
2. Assistant Professor at Seyyed Jamal al-Din al-Asadabadi University, Hamedan, Iran

Correspondence Author: Habib Keshavarz **Email:** hkeshavarz@semnan.ac.ir

Receive Date: 2022.07.31 **Accept Date:** 2023.02.26

فصلنامه علمی دراسات الادب المعاصر
دانشگاه آزاد اسلامی واحد جیرفت
https://sanad.iau.ir/journal/cls/

دوره ۱۵، شماره ۶۰
زمستان ۱۴۰۲
صص: ۱۷-۱

10.30495/cls.2023.1964430.1372

مقاله پژوهشی

تأثیر مهاجرت بر شعر دیاسپورا و شعر فلسطین (مطالعه تطبیقی)

حبیب کشاورز[1*]، مهدی ترکشوند[2]

چکیده

شاعران دیاسپورا و شاعران بی خانمان فلسطین، هر دو در خارج از کشور خود زندگی می کنند و علاوه بر احساس بیگانگی، حسرت وطن خود را نیز دارند. اما انگیزه ها و دلایل مهاجرت این شاعران متفاوت است. شاعران دیاسپورا به میل خود و برای زندگی بهتر به کشورهای آمریکای شمالی و جنوبی مهاجرت کردند و ممکن است - هر زمان که بخواهند - به وطن خود بازگردند. در مورد شاعران فلسطین، آنها داوطلبانه کشور خود را ترک نکردند. بلکه این اشغالگران صهیونیست بودند که آنها را بیرون کردند و دیگر به وطن خود بازنگشتند. در این مقاله سعی بر آن است تا با رویکردی تحلیلی - توصیفی به بررسی تأثیرات مهاجرت بر شعر فلسطین و شعر غربت بپردازیم و تفاوت این تأثیرات را نشان دهیم. نتایج به دست آمده از این پژوهش نشان می دهد که انگیزه ها و علل مختلف مهاجرت تأثیر مستقیمی بر شعر شاعران فلسطین و شاعران دیاسپورا داشته است. شاعران دیاسپورا در آرزوی وطن هستند، اما به آن برنمی گردند و به بهانه‌های سست التماس می‌کنند و تیرهای انتقاد را به سوی توده‌ها نشانه می‌گیرند، در حالی که شاعران فلسطین به کشور خود عشق می‌ورزند و توده‌ها را به مبارزه فرا می‌خوانند. علاوه بر این، عواطف شاعران فلسطینی و احساس اشتیاق آنها به میهن واقعی تر است.

واژگان کلیدی: مهاجرت، دیاسپورا، شعر عربی، فلسطین

۱. استادیار دانشگاه سمنان، سمنان، ایران
۲. استادیار دانشگاه سید جمال الدین اسدآبادی، همدان، ایران
نویسنده مسئول: حبیب کشاورز
ایمیل: hkeshavarz@semnan.ac.ir

تاریخ دریافت: ۱۴۰۱/۰۵/۰۹
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۱/۱۲/۰۷

ارجاع: کشاورز حبیب، ترکشوند مهدی، تأثیر مهاجرت بر شعر دیاسپورا و شعر فلسطین (مطالعه تطبیقی)، دراسات ادب معاصر، دوره ۱۵، شماره ۶۰، زمستان ۱۴۰۲، صفحات ۱۷-۱.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

دراسات الأدب المعاصر
جامعة آزاد الإسلامية في جيرفت
https://sanad.iau.ir/journal/cls/

السنة ١٥ ، العدد ٦٠
الشّتاء ١٤٤٥
صص: ١٧-١

10.30495/cls.2023.1964430.1372

المقالة البحثية

تأثير الهجرة في شعر المهجر والشعر الفلسطيني (دراسة مقارنة)

حبيب كشاورز[1*]، مهدي تركشوند[2]

الملخّص

إن شعراء المهجر وشعراء فلسطين المشرّدين، يعيش كلاهما خارج بلادهم، وإلى جانب شعورهم بالغربة، لديهم حنين إلى الوطن. ولكن تختلف الدوافع والأسباب وراء هجرة هؤلاء الشعراء؛ فإن شعراء المهجر هاجروا إلى دول الأمريكتين الشمالية والجنوبية بإرادتهم ولأجل عيش حياة أفضل، ولهم أن يعودوا - متى ما شاؤوا - إلى أوطانهم. أما شعراء فلسطين، فلم يخرجوا من بلدهم طوعًا، بل إن المحتلّين الصهاينة هم الذين قاموا بتهجيرهم، وليس لهم العودة إلى وطنهم. في هذا المقال، نحاول بمنهج تحليلي-وصفي دراسة آثار الهجرة على شعر فلسطين وشعر المهجر وتبيان الفروق بين هذه الآثار. تبيّن النتائج المتحصلة من هذا العمل البحثي أن اختلاف دوافع الهجرة وأسبابها، قد ترَك تأثيرًا مباشرًا على الشعر لدى شعراء فلسطين وشعراء المهجر. يحنّ شعراء المهجر إلى الوطن، ولكن لا يعودون إليه متوسلين بذرائع واهية، ويصوّبون سهام النقد إلى الجماهير، بينما يعشق شعراء فلسطين بلدهم ويدعون الجماهير إلى النضال. كما أن عواطف الشعراء الفلسطينيين ومشاعرهم المعبّرة عن التوق إلى الوطن، أصدق وأقوى من التي لدى شعراء المهجر.

الكلمات الرئيسة: الهجرة، الشعر العربي، فلسطين، المهجر

١. الأستاذ المساعد في جامعة سمنان، سمنان، إيران
٢. الأستاذ المساعد في جامعة سيد جمال الدين الأسد آبادي، همدان، إيران

المؤلف المختص: حبيب كشاورز
البريد الالكتروني: hkeshavarz@semnan.ac.ir

تاريخ الوصول: ١٤٤٤/٠١/٠٢
تاريخ القبول: ١٤٤٤/٠٨/٠٥

المقدمة

لا شك في أن الإنسان كائن اجتماعي، ويرغب في العيش بجوار أصدقائه ومعاريفه. ولكن أحيانًا يعمد إلى الهجرة لسبب من الأسباب ويقيم في دولة أجنبية، وأحيانًا أخرى، إما أن جماعة غاصبة ترغمه على مغادرة الوطن أو أنه يُضطر إلى مواصلة حياته بجوار المحتلّين وهو يشعر بالغربة ويحنّ إلى الوطن.

مقارنةً مع جميع الأدباء والشعراء، فإن الغربة والتشرّد والحنين إلى الوطن تظهر بشكل أجلى لدى طائفتين هما: الشعراء الفلسطينيون وشعراء المهجر؛ بأن أغلب شعراء المهجر غادروا بلدانهم من أجل العثور على حياة أفضل وهاجروا إلى أمريكا أو الدول الأفريقية، وأن الشعراء الفلسطينيين تشرّدوا في دول أخرى من جرّاء احتلال إسرائيل لبلدهم، وأن الذين بقوا في فلسطين، هم الآخرون، يعانون من مشكلات عديدة. لذلك، تتقارب إلى حد بعيد، المواضيع الشعرية لدى شعراء المهجر وشعراء فلسطين، وإن كانت هناك فروق بين أشعارهم بسبب الاختلاف في دوافع الهجرة.

يحاول الكاتب في البحث الحالي، دراسة آثار الهجرة على الشعر لدى الشعراء الفلسطينيين وشعراء المهجر، ومن هذا المنطلق، تُطرح على بساط النقاش، الفروق الموجودة في أشعارهم أيضًا.

سابقة البحث

من خلال الدراسات، يتبين أنه لم يُكتب حتى الآن مقال يتناول دراسة ومقارنة دوافع الهجرة عند شعراء فلسطين وشعراء المهجر. ولكن مع ذلك، فقد دُرست في بعض الأبحاث، قضية هجرة الشعراء الفلسطينيين وشعراء المهجر بشكل منفصل.

لقد تطرّق سليمان ونادري (٢٠٠٩) إلى هذا الموضوع في مقال لهما بعنوان «التشرّد في الشعر الفلسطيني». وفيه إنما تمّت دراسة الأشعار التي أُنشدت حول المشرّدين الفلسطينيين، ووردت فيه إشارة موجزة إلى الأسباب المؤدية إلى تشرّد الشعراء.

قام كبانجي (٢٠٠٩) في أطروحته المعنونة بـ «أدب المهجر في أمريكا اللاتينية»، بدراسة مقتضبة لعوامل هجرة الشعراء. تشير نتائج هذا البحث إلى أن هناك عاملين وراء هجرة الشعراء العرب إلى أمريكا، هما: الظلم والاضطهاد اللذان تمارسهما السلطة الحاكمة على الجماهير، ومساعي هؤلاء الشعراء للعثور على حياة أفضل.

تناول جوانمرد (٢٠١٠) في أطروحته تحت عنوان «دراسة مضمونَي الوطن والحرية في شعر محمود درويش»، الوطن والحرية في شعر هذا الشاعر الفلسطيني. تُظهِر نتائج هذا البحث أن للشاعر شوقًا عارمًا لوطنه، وإنه يتحدى المحتلين لاستعادة وطنه منهم.

استعرض إيراني (٢٠١١) في أطروحته التي تحمل عنوان «التطور الموضوعي الفكري للشعر الفلسطيني المعاصر بين الأعوام ١٩١٧ و١٩٦٧» الشعر الفلسطيني، ويعتبر التشرّد والهزيمة والدعوة إلى النضال من أهم المواضيع الشعرية للشعراء الفلسطينيين في هذه الفترة.

أسباب هجرة شعراء فلسطين وشعراء المهجر

قد يكون للهجرة أسباب كثيرة، فلا يمكن اعتبار سبب واحد على أنه وراء هجرة الأشخاص كلهم. يستقر رأي الأشخاص على الهجرة بالنظر إلى وجود اختلافات فردية وتردّي وضع المجتمع الذي يعيشون فيه.

فقد غادر شعراء المهجر في معظمهم، الوطن بسبب ما اعتراهم في بلدانهم من مشكلات اقتصادية وثقافية وروحية، وهم يهدفون إلى عيش حياة أفضل، فتوجّهوا إلى الأمريكيتين الجنوبية والشمالية. ولكن انهالت عليهم الصعوبات هناك أيضًا، وهذا ما أدّى إلى أن يتكوّن في وجدانهم التوق والاشتياق إلى الوطن والشعور بالغربة. وهذا في حين أن أغلب «المهاجرين كانوا يعيشون في بيئة هم عنها جدّ غرباء وكانوا يعانون من غربة الحس والفكر والروح، ويشعرون بالاختناق في هذا الجوّ الذي تتحكم فيه الآلة ويريدون الانطلاق إلى عالمهم الروحي المثالي» (عبد الدايم، ١٩٩٣: ٦٩).

فيما يخص الدوافع وراء هجرة شعراء المهجر، يمكن القول بأنهم غادروا أوطانهم توخيًا لبناء حياة أفضل، فتوجّهوا إلى حيث يستطيعون فيه توفير الرخاء لهم ولعوائلهم، بينما كان بإمكانهم البقاء في أوطانهم والسعي والنضال لبناء أوطانهم. أحيانًا أشار بعض شعراء المهجر في أشعارهم إلى ما دفع بهم إلى الهجرة، فيقول شكر الله الجر أحد شعراء المهجر:

«إيه لبنان يشهد الله أنّا ما هجرناك عن قلى وصلابة
إنما أصبح المقام بأرض الـ أرز للحر ذلة ومعابة»

(حسن، ١٩٦٢: ٢٦)

يقول رشيد سليم الخوري، وهو شاعر مهجري آخر، حول دافعه في الهجرة: «بعد أن صدرت بعض قصائدي الثورية في البرازيل، قرأها عمّي الذي كان هناك، فطلب مني بموجب رسالة أن أذهب إليه، لكنّني لم أقبل، إلى أن اضطررت بعد وفاة أبي، إلى مغادرة الوطن وقبول دعوة عمّي، بحثًا عن الرزق من أجل سداد ديون أبي» (بيضون، ١٩٩٣: ٢٥و٢٦). ويتحدث الشاعر فيما يلي عن غربته:

«ناء عن الأهل يفصلني　　عمن أحب البر والبحر
حولي أعاجم يرطنون فما　　للضاد عند لسانهم قدر
لو عاش بينهم ابن ساعدة　　لقضى ولن يسمع له ذكر»

(الخوري، ١٩٧٣: ٣٧٦)

ولكن إذا أردنا الكلام حول دوافع الهجرة لدى الشعراء الفلسطينيين، يجب القول بأن معظم هؤلاء الشعراء تم نفيُهم من وطنهم، ولم يغادروا بلدهم طوعًا. فإنهم يختلفون من هذه الناحية عن شعراء المهجر اختلافًا كبيرًا، وقد ترك هذا الاختلاف تأثيره على شعرهم. إن هارون هاشم رشيد ومحمود درويش، وعبد الرحيم محمود، وغيرهم من الشعراء الذين نُفوا إلى خارج فلسطين، باتت ألسنتهم تلهج بذكر الوطن في أشعارهم.

هارون هاشم رشيد، الشاعر الفلسطيني المعاصر الذي نفاه الصهاينة على أثر احتلالهم لغزة، يسأل على لسان طفل فلسطيني مشرّد، أباه عن سرّ تشرّده قائلًا:

«لماذا نحن يا أبت　　لماذا نحن أغراب؟
أليس لنا بهذا الكون　　أصحاب وأحباب؟
لماذا نحن في سقم　　وفي بؤس وفي فقر؟
أما كانت لنا أرض　　بها الآمال تخضر؟»

(هاشم رشيد، ١٩٩٨: ٢٣ و٢٤)

كما نلاحظ، فإن الشاعر المهجري يتكلم عن الفقر أو المعضلات الثقافية على أنهما أسباب هجرته، إلا أن شعر الشعراء الفلسطينيين يعصر القلب ألمًا، ذلك لأن الشاعر الفلسطيني يرى وطنه وقد احتلّه العدو، ولم يخرج من البلد بمحض إرادته، بل إن العدو هو الذي أرغمه على ذلك.

تُعتبر قصيدة «بطاقة هوية» لمحمود درويش من الروائع في الشعر الفلسطيني بل وفي الشعر العربي المعاصر. هذه القصيدة هي في عداد أشهر القصائد العربية المعاصرة، ويشير فيها الشاعر إلى احتلال فلسطين من قِبَل المحتلّين، ويهدّد المحتلّين بالقول:

«سجّل.. أنا عربي / سُلبتُ كرومَ أجدادي وأرضًا كنت أفلحها / أنا وجميع أولادي / ولم تترك لنا ولكل أحفادي / سوى هذي الصخور.. / فهل ستأخذها حكومتكم.. كما قيلا / إذن! / سجّل.. / برأس الصفحة الأولى / أنا لا أكره الناس، ولا أسطو على أحد / ولكنّي إذا ما جعت، آكل لحم مغتصبي / حذار حذار من جوعي ومن غضبي». (درويش، ٢٠٠٠ : ٣٥)

الحنين إلى الوطن

كل من يهجر وطنه، عادةً يُظهِر له اشتياقًا وحماسًا. وهذا شأن شعراء المهجر وشعراء فلسطين أيضًا، فلهم في أشعارهم اشتياق عارم إلى بلادهم. ولكن تختلف درجات اشتياقهم مع الأخذ بالحسبان اختلافهم في دوافع الهجرة. وهذا ما سنتناوله بذكر مقتطفات من هذه الأشعار:

إيليا أبو ماضي، الشاعر اللبناني الذي غادر لبنان إثر الوضع السياسي والاقتصادي المضطرب فيه وبدايةً ذهب إلى مصر ثم إلى أمريكا، يُظهِر حنينًا وافرًا إلى الوطن في أشعاره. فينشد في ذلك:

«الأرض سوريا، أحب ربوعها عندي، ولبنان أحب جبالها»

(أبو ماضي، ١٩٨٨: ٣٠٨)

ينتقد شعراء المهجر أوضاع بلدانهم، إضافة إلى حنينهم إلى الوطن، ويحمّلونها بشكل غير مباشر، المسؤولية عن هجرتهم. على سبيل المثال، يقول شكر الله الجر:

«كيف لا يهجر الأبي مكانًا ملأ اليأس جوّه ورحابه
وطن نام كالنعاج بنوه نومة أيقظت عليه ذئابه
وطن ضعضع التخاذل أهليه وحط الشقاق فيه ركابه»

(الجر، ١٩٦٣: ١٠٠)

إن الشاعر إلى جانب انتقاده في الأبيات المذكورة أعلاه، الوضع السائد في وطنه، يعتبر أفراد الشعب السبب وراء تشرّده، ويعتقد بأنه لو كان بلده بلدًا أفضل، لما تركه الشاعر! من الممكن أن نحسب وجهة

النظر هذه أحد العوامل الضالعة في تخلف البلدان الإسلامية، لأن هناك من يعتبر الغرب محط آماله، وبمجرد مواجهته للصعوبات، يغادر بلده متوجهًا إلى الغرب، متقاعسًا عن فعل أي شيء لبناء بلده.

أما الشاعر الفلسطيني، فإلى جانب حنينه إلى الوطن، وبدلًا من توجيه النقد لشعبه، يرى أن الذنب هو ذنب الاستعمار واليهود، فيتحداهما. إن كمال ناصر، الشاعر الفلسطيني المعاصر، يعتبر الاستعمار الإنجليزي والظلم الممارَس من اليهود، السبب في الوضع الفلسطيني الراهن، فيقول:

«هذي فلسطين الأبية في السلاسل والقيود يقضي بها الخصم العنيد وليس تنفعنا الجهود
قرت بها عين الجبان وكل نمام حسود ما بين ظل الإنكليز وبين طغيان اليهود» (ناصر، ٢٠٠٧: ٩٧)

يدعو الشاعر في ما يُتبع من القصيدة، وطنه إلى السعي والكفاح، قائلًا:

«فيا وطني إن تبغ عزًا ورفعة تموج بأحلام تظللنا الدهرا
فنظّم صفوف الشعب، نظم سبيله على هدف واع.. وحربة حمراء»
(ناصر، ٢٠٠٧: ١٦٣)

فدوى طوقان، الشاعرة الفلسطينية المعاصرة، لا تحنّ إلى الوطن فحسب، بل وتعشق فلسطين، وهي مستعدة للتضحية بنفسها وبأسرتها في سبيل تحرير فلسطين:

«يا فلسطين اطمئني
أنا والدار وأولادي قرابين خلاصك
نحن من أجلك نحيا ونموت..»

(طوقان، ١٩٥٤: ٥٤٥)

عبدالرحيم محمود شاعر فلسطيني آخر، يتكلم في أشعاره عن الحنين إلى الوطن. نُفي محمود إلى العراق بسبب بعض أنشطته، وكان له حنين وافر إلى وطنه في زمن تواجده بالعراق. ويتضح بجلاء شوقه إلى الوطن في قصيدته «حنين إلى الوطن»:

«يا بلادي ارشفيني قطرة كل ماء غير ماء فيك كدر
ليت من ذاك الثرى لي حفنة أتملى من شذا الترب العطر»

(محمود، ١٩٩٨: ٤٧)

علي فودة، الشاعر الفلسطيني المعاصر، يقدّم نفسه عاشقًا لفلسطين، وأنه سيظل فلسطينيًا إلى الأبد:

«فلسطيني.. فلسطيني / أقول لكم بأني مثل جدي / مثل زيتوني فلسطيني / فلسطيني على مر الدهور.. أنا / فلسطيني / ولن أنسى بأني عاشق أبدًا فلسطيني / وإني قد ولدت / درجت ثم لحفت أني أفنى فلسطيني». (فودة، ٢٠٠٣: ٧)

حب الوطن عند شعراء فلسطين أحيانا يتجلى في حب المرأة أو على العكس وبعض الشعراء الفلسطينيين مثل محمود درويش توفيق زياد يتحدثون عن الوطن وحب الوطن. (ملابراهيمي، كشاورز،١٣٩١: ١١٥)

أمنية العودة إلى الوطن

من الأماني التي يحملها من هجَر أرضه، العودة إلى الوطن. يختلف مدى الرغبة في العودة إلى الوطن اعتمادًا على دوافع الهجرة. إن شعراء المهجر، بما أنهم غادروا أوطانهم بملء إرادتهم، يمكنهم أن يعودوا إليها في أي لحظة شاؤوا - وإن يتذرعون في أشعارهم بحجج عديدة ويمتنعون من العودة إلى الوطن -، إلا أن الشاعر الفلسطيني لا يمكن أن يراوده أمل بالعودة، ذلك لأنه لم يعد لم وطن حتى يعود إليه. فعلى الشاعر الفلسطيني، قبل أي شيء، أن يحرّر وطنه بالنضال، ثم يسعى وراء العودة إليه.

جبران خليل جبران، الأديب اللبناني المسيحي الذي توجّه برفقة أسرته إلى أمريكا، وكتب في رسالة له إلى مي زيادة عن العودة إلى الوطن، يرى البقاء في القفص مانعًا للعودة، وفي الحقيقة، يختلق الأعذار لعدم عودته:

«إن شوقي إلى وطني يكاد يذيبني ولولا هذا القفص - هذا القفص الذي حبكت قضبانه بيدي - لاعتليت متن أول سفينة سائرة شرقًا». (جبر، ١٩٥٠: ٤٦)

عقل الجر، الشاعر اللبناني المهاجر الذي سافر إلى البرازيل، يأمل العودة إلى الوطن، ويعتبر العودة إلى الوطن أحسن هدية بالنسبة لمن يقبع في بلد غريب:

«وخير مغانم الدنيا غريب يتاح له إلى الوطن القفول»

(الجر، بدون تاريخ: ١٤١)

رشيد سليم الخوري، الملقّب بالشاعر القروي الذي هو من الشخصيات الأدبية المميّزة في المهجر الجنوبي، يتوخّى العودة إلى الوطن (لبنان)، إلا أنه يفيد بأن الفقر يمنع عودته:

«أروم إلى ربى لبنان عودًا فيمنعني عن العود افتقار
ولو خُيّرت لم أهجر بلادي ولكن ليس في العيش اختيار»

(القروي، ١٩٧٣ : ٢٥٧)

كما سبق وأشرنا، لا يأمل الشاعر الفلسطيني العودة في مستقبل قريب، ويرى وطنه تحت ظلال الاحتلال. يحتاج الشاعر الفلسطيني ومن أجل عودته إلى الوطن، استئذان المحتلّين، ولا تنتهي غربته حتى ولو عاد إلى أرضه، لأن هذا الوطن لم يعد وطنه.

يقول هارون هاشم رشيد، في قصيدته «عودة الغائب» والتي أنشدها بعد عودته إلى غزة بعد مرور سبع وعشرين سنة:

«أتيتُ غزة، طيرًا شاردًا تعبًا قضى سنينًا طريد الدار مغتربا
وقفت في بابها لهفان منتظرًا إذن الدخول، مشوق الروح مرتقبا
أبعد كل سنين العمر، يوقفني في بابها غاصب، مازال مغتصبا؟»

(هاشم رشيد، ١٩٩٨: ١٣٩)

يوضّح الشاعر في هذه الأبيات أنه عاش في الغربة سنين طوال تقرب من ٣٠ سنة، وقد رجع إلى أرضه وكأنه طائر مشرّد، إلا أن غاصب أرضه، أي إسرائيل المحتلّة، لا يزال يمنع دخول الشاعر إلى أرضه، فليس دخوله ومغادرته بمحض إرادته؛ فإن الشاعر غريب في كلتا الحالتين، سواء حينما كان يعيش في مصر وفي بلد غريب، أو الآن حيث عاد إلى أرضه، ذلك لأنه حين لا إرادة للشاعر في بلده وقد احتلّت إسرائيل فلسطين، فلا يزال الفلسطينيون كلهم يشعرون بالغربة.

يرجو محمود سليم الحوت، الشاعر الفلسطيني المعاصر، أن يعود إلى الوطن، ولكن لا يدري هل يمكنه العودة إلى فلسطين قبل موته أو لا:

«يافا لقد جف دمعي فانتخبت دمًا متى أراك وهل في العمر من أمد
أمسي وأصبح والذكرى مجددة محمولة في طوايا النفس للأبد

تعبت لكنني مازلت في تعبي أشكو إلى الله لا أشكو إلى أحد»

(السوافيري، ١٩٧٩ : ١٨٩)

أما سميح القاسم، الشاعر الفلسطيني، فيتحدث عن النضال، ويخاطب المحتلّين بالقول:

«تقدّموا كل سماء فوقكم جهنم وكل أرض تحتكم جهنم تقدموا / يموت منا الطفل والشيخ و لايستسلم و تسقط الأم على أبنائها القتلى ولاتستلم». (القاسم، ١٩٩٣: ٤٠٥)

الهجرة والشعور بالغربة

الذين يغادرون أوطانهم، عادةً ما يستشعرون الغربة في أوطانهم الجديدة. وقد صوّر شعراء المهجر وشعراء فلسطين هذا الشعور بالغربة في أشعارهم.

يشكو إيليا أبو ماضي، الشاعر اللبناني، من الغربة، وإنه وإن أمضى سنوات طويلة من حياته في الغرب، إلا أن للشرق مكانة رفيعة لديه:

«أنا في نيويورك بالجسم وبال روح في الشرق على تلك الهضاب»

(أبو ماضي، بدون تاريخ: ١٥٥)

وفي الوقت نفسه، شعور إيليا أبو ماضي بالغربة هو نوع من الغربة الجماعية، وفي رأيه، قد يعاني جميع البشر على الكرة الأرضية، من نوع من الغربة، وبطبيعة الحال، مما كان له التأثير في تكوّن هذا الشعور لديه، غربته المكانية العينية والملموسة في نيويورك:

«وما أنا بالغريب الدار وحدي فكل الناس عندي في اغتراب»

(المصدر نفسه: ٦٨)

تتمثل النقطة المهمة لهذه الأبيات، بالنظرة الفلسفية المعمّقة لأبو ماضي إلى الغربة، وهو يعاني في الوقت نفسه، من الغربة المكانية. ولكن لا يعترف بغربة الجسم على أنها الغربة الأصلية، بل ويعتبر غربة الروح والنفس أشد وأقسى:

«لستُ أشكو إن شكا غيري النوى غربة الأجساد ليست باغتراب»

(المصدر نفسه: ١٥٥)

يعتقد رشيد سليم الخوري على غرار أبو ماضي، بأن روحه في الشرق (لبنان). فيقول:

«سلام إلى حيث غادرت روحي بلبنان سابحة هائمة»

(الخوري، ١٩٧٣: ٤١٠)

لبنان هو وطن الخوري، وإذا كان يقبع في الغربة بسبب بعض المسائل الجسمية، إلا أن روحه تترك جسمه دائمًا وتسافر إلى لبنان محلّقةً في أجوائه بحرّية.

يعتبر جبران خليل جبران، الشاعر اللبناني المسيحي، إقامته في نيويورك من ضروب النفي، ويكتب في رسالة له إلى أمين الريحاني عام ١٩١٢: «ستذهب غدًا إلى أجمل البلاد وأكثرها قدسيةً في هذه الدنيا، أي لبنان، ولكنّني سأظل في هذا المنفى. ما أسعدك وما أقل حظّي!» (الريحاني ومعاصروه، ١٣٩).

يظهر هذا الاتجاه إلى الغربة والاشتياق النفسي والحزن، ظهورًا متميّزًا في آثار جبران خليل جبران وأشعاره، والذي يعتبره البعض حامل اللواء في الحركة الرومانسية في الأدب العربي المعاصر (الأيوبي، ١٩٤٨: ١٦)، فيقول في أحد أعماله: «أنا غريب في هذا العالم.. أنا غريب وفي الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة، غير أنها تجعلني أن أفكر أبدًا بوطن سحري لا أعرفه.. أنا غريب عن نفسي، فإذا سمعت لساني متكلمًا تستغرب أذني صوتي.. أنا غريب عن جسدي وكلما وقفت أمام المرآة أرى في وجهي ما لا تشعر به نفسي.. أنا غريب في هذا العالم.. أنا شاعر أنظم ما تنثره الحياة وأنثر ما تنظمه، ولهذا أنا غريب وسأبقى غريبًا حتى تخطفني المنايا وتحملني إلى وطني» (جبران، ١٩٥٠: ١٨٣).

يعبّر رشيد سليم الخوري، الشاعر اللبناني المهجري، عن شعوره بأنه عديم الوطن وغريب في هذا العالم بشكل عام قائلًا:

«ما البرازيل مهجري ليس لبنان لي حما
إن نفسي غريبة تشتكي البعد فيها
أنا ما دمت في الثرى وبعيدًا عن السما»

(الخوري، ١٩٨٠: ١٢٦)

ينظر فوزي المعلوف، شاعر مهجري آخر، هذه النظرة أيضًا، ويرى أن الشعراء لا ينتمون لهذا العالم مع كل ما لديهم من العاطفة والشعور، بل ينتمون إلى عالم آخر، ذلك لأن هذا العالم مليء بالفساد والتحلل، ولا يعيش الشاعر فيه إلا كرهًا:

«ليت شعري ما الشاعر ابن لهذه الأرض إلا بلحمه وعظمه
هو منها وليس منها فمازال غريبًا من بين أبناء أمه
سكن الأرض مرغمًا، وهو لو خُيّر، ما اختار ظلمة رمسه»

(المعلوف، ١٩٥٨: ١٥٠)

كما أن إيليا أبو ماضي، وتحت تأثير من المدرسة الرومانسية، جعل موضوع الغربة أحد المواضيع الرئيسية لشعره. ويشير في قصيدته المسماة بـ «قصيدة الطبيعة» إلى أرض يزول الحزن عن القلب برؤيتها، ومع مشاهدتها، يعمّ الشعور بالملكية وجود الإنسان لدرجة يجعل الإنسان معها غريبًا عن أرضه الظاهرية:

«روض إذا زرتَه كئيبًا نفس عن قلبك الكروبا
أرض إذا زارها غريب أصبح عن أرضه غريبا»

(أبو ماضي، ١٩٨٨: ١٢٥)

كما رأينا، فإن الغربة في الشعر المهجري ضرب من الغربة العرفانية والفلسفية، وللشاعر في أمريكا حياة فارهة، ولكنّه يشتاق إلى أرضه. أما الشاعر الفلسطيني، فيتكلم عن الحزن ويتحسر منذ اللحظة التي يعبّر فيها عن شعوره بالغربة. لا يسعى الشاعر الفلسطيني وراء المسائل العرفانية، بل يحسب وطنه ضائعًا وليس له شعور طيّب في أي مكان بالعالم، ويجب أن يعود إلى وطنه. قد تنتهي غربة شاعر المهجر بالعودة، ولكن لا نهاية لغربة الشاعر الفلسطيني.

يأتي محمود درويش، شاعر الأرض المحتلة، بوضوح على ذكر هذا الأمر في شعره، ويرى أنه لا نهاية لغربة الفلسطيني:

«هذا هو العرس الذي لاينتهي / في ساحة لاتنتهي / في ليلة لاتنتهي / هذا هو العرس الفلسطيني/ لا يصل الحبيب إلى الحبيب / إلا شهيدًا أو شريدًا» (درويش، ٢٠٠٠: ٢٤٨).

يشبّه درويش غصب فلسطين من قِبَل الأجانب، بحفلة عرس حلّ الغاصبون ضيوفًا فيها، بفارق هو أنه لا نهاية لحفلة فرح الأجانب ورقصهم، ولا يمكن تصوّر أي وصال بين العاشق ومعشوقه، بل إنهما إما يُقتلان في هذه الحفلة على أيدي الغاصبين، أو يُجبران على الهجرة، فيتشردان.

يشعر علي فودة بالغربة في معرض الرثاء على فراقه عن قريته قنير التي ترمز هنا إلى فلسطين كلها: «بعيدًا عنك يا قنير إني لم أنم أبدًا / فعمري كله سفر / وفي الأسفار لم أنعم / فمن قطر إلى قطر / أسوح أسوح في الأرض الخراب كنملة عرجاء» (فودة، ٢٠٠٣: ٩٣).

هارون هاشم رشيد، رغم بُعده عن حبيبته فلسطين، يفكّر باستعادتها قائلًا:

«فيصرخ سوف نرجعه
سنرجع ذلك الوطنا
فلن نرضى له بدلا
ولن نرضى له ثمنا»

(مصطفى، ١٩٧٨: ٨٥)

النتيجة

بما أن دوافع الهجرة لدى شعراء المهجر تختلف اختلافًا كبيرًا عن التي لدى الشعراء الفلسطينيين، فقد كان لهذا الأمر تأثير كبير في شعر الشعراء:

يحمل شعراء المهجر شعورًا أضعف بكثير من الذي عند شعراء فلسطين. فإن اشتياقهم إلى الوطن هو من قبيل الاشتياق الرومانسي الذي يجري على الألسن، فليسوا مستعدّين لفعل أي شيء بالنسبة لبلدهم. ولكن يحب الشاعر الفلسطيني بلده من صميم وجوده، ولا يأبى إطلاقًا التضحية بنفسه في سبيل تحرير الوطن.

من الموضوعات المهمة والمتكررة التي يستعرضها شعراء المهجر وشعراء فلسطين، قضية العودة إلى الوطن. يحب شعراء المهجر أن يعودوا إلى أوطانهم، ولكن يتذرعون بحجج واهية، مثل الفقر أو الفروق الثقافية أو تخلّف الدول العربية، على أنها عامل يمنع عودتهم، بينما لا يمكن للشاعر الفلسطيني العودة إلى بلده دون الحصول على رخصة من المحتلّين، فيحترق متحسرًا على عدم تمكنه من العودة إلى أرض الوطن الحبيب.

تنتهي غربة الشاعر المهجري حينما تطأ قدماه أرض الوطن الذي تختتم عنده أمانيه، إلا أن غربة الشاعر الفلسطيني لا تنتهي بلمس قدميه أرض الوطن، لأن وضع القدمين في وطن قبع تحت أسر العدو الغاصب، لا يهدّئ ألم الغربة، بل إن تحرير الوطن هو الذي سيقضي على الغربة نهائيًا.

إن الشاعر المهجري وحين كلامه عن الوطن، يتحسر على تخلّفه، وينتقد أفراد شعبه متّهمًا إياهم بالكسل والجهل، إلا أن الشاعر الفلسطيني يتباهى بجماهيره ويمنحهم الدافع لمكافحة العدو المحتل.

بشكل عام، يجب القول بأن الشعر المهجري هو عمل فنّي ينظر فيه الشاعر إلى مواضيع مثل الوطن، والغربة، والعودة إلى الوطن على أنها مصادر للإلهام الشعري، إلا أن الشعر الفلسطيني شعر ملتزم يريد الشاعر من خلاله أن يشجّع الشعب على النضال حتى تحرير الوطن.

المصادر و المراجع

أبو ماضي، إيليا (١٩٨٨)، **الأعمال الكاملة**، دار الكاتب، بيروت.

أبو ماضي، إيليا (بدون تاريخ)، **الديوان**، دار العودة، بيروت.

الأيوبي، ياسين (١٩٤٨)، **مذهب الأدب: معالم وانعكاسات**، دارالعلم للملايين، بيروت، ط ٢.

بيضون، حيدر توفيق (١٩٩٣)، **الشاعر القروي رشيد سليم الخوري**، دار الكتب العلمية، بيروت.

جبر، جميل (١٩٥٠)، **مي وجبران**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

الجر، شكرالله (١٩٣٤)، **ديوان الشعر (الروافد)**، دار الثقافة، بيروت.

الجر، عقل (بدون تاريخ)، **ديوان عقل الجر**، دار الثقافة، بيروت.

حسن، محمد عبد الغني (١٩٦٢)، **الشعر العربي في المهجر**، مؤسسة الخانجي، القاهرة.

خليل جبران، جبران (١٩٥٠م)، **العواصف**، دار صادر، بيروت.

الخوري، رشيد سليم (١٩٧٣)، **الأعمال الكاملة**، دار الحرية، بيروت.

الخوري، رشيد سليم (١٩٨٠)، **الأعاصير**، مطبعة مجلة الشرق، بيروت.

درويش، محمود (٢٠٠٠)، **الأعمال الكاملة الشعرية**، دار الحرية، بغداد.

طوقان، فدوى (١٩٥٤)، **الليل والفرسان**، دار العودة، بيروت.

عبد الدايم، صابر (١٩٩٣)، **أدب المهجر**، دار المعارف، القاهرة.

فودة، علي (۲۰۰۳)، **الأعمال الشعرية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

القاسم، سميح (۱۹۹۳)، الأعمال الكاملة، دار سعاد الصباح، الكويت.

محمود، عبدالرحيم (۱۹۹۸)، **الأعمال الكاملة**، دار الجليل، دمشق.

مصطفى، خالد علي (۱۹۸۷)، **الشعر الفلسطيني الحديث**، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد.

المعلوف، فوزي (۱۹۵۸)، **الأعمال الشعرية الكاملة**، دار صادر: دار بيروت، بيروت.

ملاابراهيمي، عزت، حبيب كشاورز (۱۳۹۱) تحليل نقش جنسيت در غزل معاصر فلسطين، **زن در فرهنگ و هنر** شماره ۳ صص ۱۰۳-۱۱۶

ناصر، كمال (۲۰۰۷)، **الأعمال الشعرية الكاملة**، دار العودة، بيروت.

هاشم رشيد، هارون (۱۹۹۸)، **وردة على جبين القدس**، دار الشروق، القاهرة.

هاشم رشيد، هارون (۲۰۰۶)، **الأعمال الشعرية الكاملة**، دار مجدلاوي للنشر، عمّان.

COPYRIGHTS

© 2024 by the authors. Licensee Islamic Azad University Jiroft Branch. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

ارجاع: كشاورز حبيب، تركشوند مهدي، تأثير الهجرة في شعر المهجر والشعر الفلسطيني (دراسة مقارنة)، دراسات الأدب المعاصر، السنة ۱۵، العدد ۶۰، الشّتاء ۱۴۴۵، الصفحات ۱۷-۱.

پرتال جامع علوم انسانی